صاحبُ «الألف لحن» الفنان والملحِّن السوري محمد محسن «١٩٢٢ - ٢٠٠٧»

تأثَّرَ بمحمد عبد الوهاب ورياض السنباطي ونسجَ بهدوءٍ وإتقان خيوطَ شخصيتِهِ المميزة

| نضال حيدر

في «قصرِ حجَّاج» الدمشقيِّ الشعبي؛ وُلِدَ الفنانُ والملحنُ السوري «محمد الناشف» الشَهير بـ«محمد محسن» عام ١٩٢٢م، وبدايةُ علاقته مع الفن كانت من بابِ الهواية، منذُ كانَ طالباً في المرحلة الابتدائية.

الشغفُ بالموسيقا والتعلّقُ بها إلى درجة الوَلَهْ؛ رافقه حتى نهايةِ دراسته الثانوية، وخَلالَ هذه الفترة؛ أخذَ يتعلَّمُ العزفَ على العود؛ خفيةً عن أسرته المُحافِظة، على يدِ الأستاذ صبحي سعيد.

لم يكُن محمد محسن حالةً فنيَّةً وحيدةً في أسرته، فقد كانَ شقيقه «صلاح الناشف» واحداً من روّاد الفن التشكيلي في تلكَ الفترة، وهو الذي اتجه إلى دراسة الفن التشكيلي؛ متوقفاً عن إتمامِ دراستِهِ العلمية في إيطاليا، ما جعلَ غضبَ الأسرة يحلُّ عليه بعد عودته.

من الهواية.. إلى الاحتراف

مرحلةُ الهواية للموسيقا والعزف على العود عند محسن، استمرت بتردده على نوادي دمشق الموسيقية، سعياً منه إلى زيادة معارفه في هذا المجال، وذلكَ حتى أواخرِ الثلاثينياتَ من القرن الماضي، يوم غادرَ الهوايةَ إلى مرحلةِ احترافِ الفن.

في بدايةِ احترافه؛ تأثرَ محسن مثلَ كثيرينَ من رفاقِ جيله بالفنان محمد عبد الوهاب، غيرَ أنه لم يكُن ليدخلَ في حالة التقليد التي انغمسَ أو «تورطَ» فيها آخرونَ، فأخذَ عن عبد الوهاب ما كرّسه من تطوير في بنية «الأغنية العربية الحديثة» في مصر، وسعى إلى تطبيقِ ذلكَ على الأغنية السوريةِ، مبتعداً عن التقليد، ما منح الأغنيةَ السوريةَ سماتَها الخاصةَ والمميزة إلى حدٍ بعيد.

الأغنية العربية.. والنكهة السورية

وقد يأخذُ البعضُ على محسن، ما عدّوهُ «خروجاً على فنِّ الأغنية السورية»، غيرَ أنه يبرِّرُ ما فعلهُ بأنَّهُ وجدَ في تجديدِ قوالبِ الغناء العربي «التقليدي» على أيدي «شيوخِ التلحين» في مصر بغيتَهُ، فعملَ جاهداً على توظيفِ ذلكَ مستثمراً البيئةَ السورية، والأسلوبَ الغنائيَّ الخاص بالمطربين السوريين، ما أضفى على نموذج «الأغنيةِ العربيةِ المصرية» نكهةً سوريةً خاصةً ومميزة.

يُعدُّ محسن واحداً من الذين ميَّزوا فنَّ الأغنية السوريةِ بـ«بصمةٍ خاصة» بها في الأربعينيات، وكذلك الأمر للأغنية العربية عموماً في الخمسينيات من القرن الماضي، غير أنه لم يُقدَّر لهُ أن يكونَ بصوته الصغير «رغم النواحي الجمالية التي يتميزُ بها» قادراً على الوقوف في صفِّ المطربينَ «الأقوياء» فاعتزلَ الغناءَ بعدَ تقديمه عدداً من الأغنيات من إذاعة دمشق «قبلَ الجلاء» ومن «إذاعة الشرقِ الأدنى» التي تعاقدَ معها عامَ ١٩٥١م وبقي يعملُ فيها كمراقبٍ للموسيقا والغناء لعامين.

> واحدٌ من الذين ميَّزوا فنَّ الأغنيةِ السوريةِ بـ«بصمةٍ خاصة»

من الغناء إلى التلحين

غادرَ محسن الغناءَ إلى التلحين، مستفيداً من موهبته الموسيقية، فعملَ بدايةً على تثقيفِ نفسه فنياً قبلَ أن يحترفَ التلحين، حيثُ درَسَ «علمَ التدوينِ الموسيقي» على يدي الملحنِ الفلسطيني «حنا الخل» ليبدأ بعدها مرحلةَ التلحينَ، وليُسهمَ لاحقاً في إغناءِ الفنِّ الغنائي العربي بألحانه الجميلة.

كثيرةٌ هي الأصواتُ المغمورةُ التي دفعَ بها محسن إلى عالمِ الشهرة، وقد كانت الفنانة «سعاد محمد» أول مطربةٍ غنَّت من ألحانه رائعتَهُ الشهيرةَ «دمعة على خدِّ الزمن» التي كتبَ كلماتها الشاعر الغنائي محمد علي فتوح.

بعد هذه الأغنية؛ دخلت سعاد عالمَ الشهرة من بابه الواسع، ويومها أدركَت بأن موهبةَ محسن هي مفتاح طريقها إلى الشهرة في عالمِ الطرب، فعمدَت إلى احتكارِ ألحانه كلها، وتتالت الإبداعات: «ليه يا زمان الوفا، مظلومة يا ناس» التي كرَّستها بينَ المطربات الأوائل.

«جلونا الفاتحين» نقطةُ الانعطاف المهمَّة

بعدَ هذه المرحلة، بدأ محسن توطيدَ مكانَته الفنيّة، وكانت نقطةُ الانعطاف المهمَّة في أداء سعادَ في ذكرى الجلاء لقصيدة «جلونا الفاتحين» التي أبدعها الشاعرُ السوري الكبير «بدوي الجبل» والتي صاغَ محسن ألحانَها وفقَ «الطريقة السنباطية» في التلحين «نسبةً إلى الملحنِ الكبير رياض السنباطي» حيثُ استخدمَ محسن أسلوبي المدّ والترجيع في الإلقاء الغنائي بنجاحٍ كبير، فباتت القصيدة بأسلوبها وتلحينها وأدائها متكاملةً، وهي تُعدُّ برأيِّ كثيرين من أقوى ما لُحِّنَ في مجالِ القصيدةِ الوطنيةِ والقوميّة.

عامَ ١٩٥١م عملَ محسن في «إذاعة الشرق الأدنى» ومنذُ ذلكَ التاريخ، واصلَ تقديمَ ألحانه الرائعة إلى مختلف الإذاعات العربية، وفي عام ١٩٥٩م تعاقدت معهُ إذاعة القاهرة «ملحناً رئيسياً» للمطربين الذين تعتمدهم الإذاعة، وبقي يمارسُ عملهُ هناك حتى عام ١٩٦٣م لينتقلَ بعدها إلى العملِ الخاص، حيثُ انتقلَ إلى بيروت، وتفرَّغَ للعمل كملحنٍ محترف، غيرَ أن الأحداثَ التي شهِدَها لبنانَ في عام ١٩٧٥م أعادته إلى سورية ليستأنفَ نشاطهُ الفنّي.

نسجَ خيوطَ شخصيتِهِ بهدوءٍ وإتقان

تأثَّرَ محسن في بداياته بعبد الوهاب، غيرَ أن ذلكَ التأثر لم يستمر طويلاً، فهو تأثَّرَ لاحقاً بالملحِّنِ الكبيرِ السنباطي، لينسجَ فيما بعد بهدوءٍ وإتقانَ خيوطَ شخصيته الفنية المميزة، وقد مرَّت أعماله الغنائية بمرحلتَين، الأولى: تضمُّ كلَّ أعماله التي لحَّنَها وغنَّاها بنفسه في مرحلة احترافه الغنَاء في سنوات الأربعينياتَ من القرنِ الماضي، أمّا الثانية فهي: مرحلةُ اعتزاله الغناء وتفرّغه للتلحينِ لغيره، وهي التي تمتدُّ من أوائلِ الخمسينياتِ من القرنِ الماضي وحتَّى وفاته عام ٢٠٠٧م.

إنَّ ألحانَ محسنَ في المرحلة الأولى لا تزيدُ على خمس عشرةَ أغنية، منها أربع قصائد: «نشوة، لقاء، أين كأسي، ومن هي..» وأغنيتان شعبيتان: «يا أم العيون الكحيلة، والليلة الليلة سهرتنا حلوة الليلة» وأربع أغنيات في قالب «المونولوغ» هي: «يا طير، الحب الأول، على باب الحبيب، والحبيب الجديد» إضافة إلى خمس أغنيات من النوعِ الرائج يومذاك وهي: «مين أنتَ، مالك يا أحلى من القمر، عيني لما القمر، عدد نجوم السما، وغنينا يا شادي، ورقصة الفن».

غزارة في التلحين..

أما المرحلة الثانية «مرحلة التلحين لغيره» فقد تميَّزت بالغزارة، حيثُ لحَّنَ محسن لعددٍ كبيرٍ من المطربات: «سعاد محمد، نجاح سلام، وردة، نجاة الصغيرة، فايزة أحمد، نازك، نور الهدى، فيروز، سميرة توفيق، صباح، وداد، حنان، فدوى عبيد، ماري جبران، شريفة فاضل، مها الجابري وغيرهن...».

ومن أشهر المطربين الذين قدَّمَ لهم محسن ألحانهُ التي اشتهروا بها: «وديع الصافي، نصري شمس الدين، عادل مأمون، محرم فؤاد، محمد قنديل، طلال المداح، محمد عبده، صباح فخري، محمد رشدي، فهد بلان».

لحَّنَ محسن الكثيرَ من القصائد وهي: «جلونا الفاتحين، حاضرنا وماضينا المجدَ يتغزل فينا، ابنة الأحزان، حبّي الكبير، أبحث عن سمراء، و: زهر الرياض انثنى» وفي مجالِ الموشَّحات التي أبدعها محسن بأسلوبه الحديث فإن أجملهَا: «يا غزالاً، سيِّدُ الهوى قمري، أنحلتني بالهجر، ما أظلمك، رَمَاهُ، وموشح ديني: يا ربِّ صلِّ على النبي».

في الرابع عشر من شباط من عام ألفين وسبعة للميلاد، رحلَ محسن «صاحب الألف لحن» عن عمرٍ ناهزَ الثامنةَ والثمانينَ عاماً، بعدَ رحلة طويلة من العطاء الفني والإنساني، أغنى خلالَها المكتبةَ الموسيقيَّةَ العربيةَ بألحانه الكثيرة والمتميزة.

فن الكتابة بالحبر السري

| سيلفا رزوق

يبدو من الصعب تماماً تخيّل الوجود الإنساني على كوكب الأرض أو غيره من الكواكب من دون أن يرتبط هذا الوجود وبشكل شبه دائم بفعل الكتابة وأدواته!؟ حتى عندما لم تكن تتوافّر أقلامٌ وحبرٌ وأوراق.. وهو ما يبرر محاولة الكتابة على الألواح الطّينيّة وأوراق النّباتات والصّخور.

الكتابة إذاً هي الإنسان ومن أجله.. فهي سيفه وصوته وعزمه والأهم الأهمّ ذكراه وذاكرته الحيّة على مر الأيام والدهور.

هذه الحقيقة أو البديهيّة لا تعني مطلقاً ولا بأي حال من الأحوال أن تصبح الكتابة لأجل الكتابة فقط لا غير ومهما كانت المبررات أو الاعتبارات أو الأسباب أو المسميات.. فأيّ كتابة لا معنى أو قيمةٌ فعليّةٌ لها ما لم تحقّق الأهمية والدور المطلوب أو المفترض من ورائها والّذي يتحقّق عندما تستطيع أن تدخل بشكلٍ أو بآخر إلى بيت القراءة والعقل والخيال.

فمن دون دخول هذا البيت وتنفيذ هذا الشرط الّذي لا يمكن تجاوزه ولا إلغاؤه ولا تحويره أو التّحايل عليه.. لا معنى البتّة لأي مادة أو نص أو كتابة.

وهذا من المسلّمات الرّاسخة لدى الكثيرين على ما أعتقد.

البعض وأعني هنا الكتّاب والنّخب والمثقفين.. يحفظون عن ظهر قلب هذا الكلام ولكنهم يعتبرون «في داخلهم على الأقل» أن هذه القاعدة أو الشرط لا يعنيهم على الإطلاق وهم في حلٍّ منه لا لشيءٍ إلا لأنهم كتّابٌ كبار ويكتبون بأقلامٍ مذهّبةٍ وبحبرٍ سريّ!؟ وبالتالي يجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم!

ولا ينطبق عليهم ما ينطبق على صغار الكتّاب أو حديثي العهد بالكتابة؟

ولا يكتفون بهذا «التّعالي» وحسب بل يعملون جاهدين على إغلاق كل الأبواب والنوافذ بوجه كل من يتجاسر ويحاول الدّخول إلى هذه السّاحة الثقافية أو تلك.

وما أن يدخل كاتبٌ أو صحفيٌ جديد ميدان الكتابة حتى يبدأ أولئك السّادة بملاحقته وتطويقه ومحاصرته بهدف إطفاء نور شمعته بسرعة البرق! والخطّة القديمة الجديدة هي ذاتها.. انتقاد.. تشهير.. تشكيك!؟

فيبدأ التّشكيك بالقدرات والإمكانات ليليه التّشكيك بالأهداف الحقيقيّة ومن ثم التّشكيك بالاسم والهويّة وهكذا دواليك حتّى يصل الهجوم إلى السؤال الكبير والخطير: (من هي أو هو؟ كاتب هذه المادّة أو النص؟ ومن يعتقد نفسه؟).

وكأنّ السّاحات الإعلاميّة والثّقافيّة رغم قلّتها محجوزة بالكامل في الماضي والحاضر والمستقبل لكتّابٍ ونخبٍ يمتلكون أقلاماً مذهّبة وتكتب بالحبر السري!؟

الناس أو القرّاء والمتابعون هم وحدهم أصحاب الكلمة الفصل أمام أي مادّة تنشر وهم وحدهم من يعطونها الأهمية والمكانة الّتي تستحق، ونقيض ذلك ليس أكثر من حبر على ورق حتّى عندما يختبئ كاتبها خلف اسمه «الكبير» وأشياء أخرى؟

خاتمة: النّص الأدبي وبأنواعه المختلفة يجب ألا يبقى أسيراً لقوالب وأشكال كلاسيكيّة جامدة لأن الإصرار على ذلك يحجب عنه فرصة الوصول إلى عيون النّاس وعقولهم بأقصر الطرق.. وللحديث تتمّة طبعاً إن قدّر الله لنا ذلك.

برجك اليوم

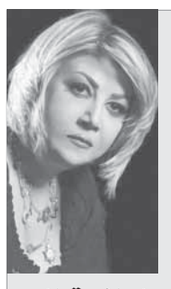

نجلاء قباني

حياتك هذا اليوم في حركة مستمرة وقابلة للانقلاب للأفضل في أي لحظة، فالأمور المالية أو المهنية تعني لك تغيراً جيداً فاسمح لي أن أهنئك في هذا الشهر.

قد تضطر لصرف أموال إضافية بسبب متطلبات عائلية أعد النظر في مصاريفك، سدد مستحقاتك قبل أن تصرف على الكماليات فأنت مديون أو تعاني ضيقاً مالياً.

نشاطك اليوم يساعدك على خلق شخص آخر داخلك شخص أقدر على التعامل مع مستجدات الحياة وأقوى في مواجهة الطوارئ، ضع الهدف نصب عينيك.

تتفوه ببعض الكلمات العفوية وخاصة في اجتماع أو وسط صداقات ما يعرضك للخسارة، لا تفكر بتغيير غير مدروس ولا تسمح لمزاجك أن يتحكم بك، لا تسمح لأحد بالتطفل عليك.

أنت تنعم بسعادة على صعيد الأمور العاطفية فالأمور إيجابية والفلك يعدك بأوقات، جميلة وسعيدة برفقة من تحب ووسط مناسبات اجتماعية واعدة ومسلية والمحيط حولك متعاطف.

قد تعطي الثقة لمن لا يستحق مما يضايقك لأنك تعتبر نفسك جيداً في الحكم على الآخرين، ولكنك تخطئ أحياناً لأنك بشر ومع ذلك أنا أنصحك أن تتأكد من مشاعرك أولاً.

أنت تمتلك الشجاعة والصبر والطموح الكبير لتصل إلى ما تريد ولو بعد حين، فكوكب المهنة في مكان يمنحك الحظوظ والإرادة والقدرة للحصول على تضامن المحيط.

المحيط العائلي وأصدقاؤك وخاصة الأشخاص الذين يؤمنون بقدراتك ومواهبك يمنحونك المساعدات للتقدم بأمورك المهنية نحو الأفضل ولا تنسَ أن التشجيع دائماً يسعدك.

قد تزعجك التغييرات لك أو لأحد الرؤساء في العمل قد تتعرض لمواقف لا تحسد عليها أو الخيارات المفروضة، فأنت تكره الضغط أو الإحساس بأن الآخرين يملون شروطهم.

يوم أنت تحتاج فيه إلى دعم الآخرين وإلى ضم جهودك إلى جهودهم لتصل إلى أهدافك، تبدأ يومك بحيوية وطاقة ولكن بجهد كبير، قد تصل إلى هدف يستدعي العمل الكثير.

اختر من تستطيع الاعتماد عليه والذي يستطيع منحك الأمان والراحه للمستقبل، قد تستطيع أن تحسن مركزك في العمل وخاصة أنك تقوم بواجباتك والتزاماتك.

لا أنصحك فيها بالتفرد في اتخاذ القرارات لأنك قد تخطئ التقدير، فأنت مشوش ليس ما يزعجنا دائماً سيئاً فأحياناً الفرح يقلقنا وأنت تحتاج للتوازن.

كلمات متقاطعة

أفقي:

١ – روائي مصري – من علوم الرياضيات.
٢ – اعتقاد – يوضع في المعصم.
٣ – والد (م) – دولة آسيوية – ظنَّ.
٤ – صغائر الذنوب – نشارط.
٥ – سقاية – موسيقار أندلسي.
٦ – نستقبل – مخترع.
٧ – ظالم – مرتبك بالرأي.
٨ – من الثمار – نصف باغت – من الأسماء الستة.
٩ – قليل الخبرة (م) – مقلة (م) – وحدة قياس أطوال.
١٠ – أشار – قلم (م).
١١ – اعتناء – عاصمة أوروبية.
١٢ – نساند – متعب.

عمودي:

١ – شاعر تشيلي راحل.
٢ – عشق – شراب أهل جهنم (م).
٣ – والدة – ممثلة سورية.
٤ – حروف متشابهة – يتمادى – اسم موصول.
٥ – رنين – في البيض – رجع.
٦ – حروف متشابهة – عاصمة عربية (م).
٧ – دون جدوى – شك (م).
٨ – نفشل ونخسر – أقرض.
٩ – نفوز – متشابهان.
١٠ – ظلم – يقتحم – اسم موصول.
١١ – ظهر – أتألم – للتأوه.
١٢ – متشابهان – والد – حرف جازم.

الحل السابق:

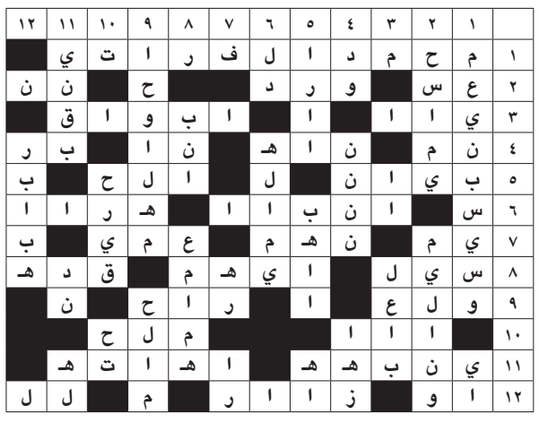

كلمة السر

ا	م	ر	ا	ة	ت	ص	د	ق	ي	ن	ي
ا	و	ا	ح	ب	ك	ط	ل	ا	ن	ش	ا
ح	ا	ا	ذ	ا	ل	ط	ل	ب	ا	ر	ل
ب	ق	ا	ب	د	ا	ا	ك	م	ا	ي	م
ب	س	ي	ا	ل	ذ	ي	ل	ل	ا	ك	ق
ت	م	ر	ك	ل	م	ا	ك	و	ن	ك	د
ك	ا	ف	م	س	ت	ع	د	ا	ي	س	ا
ا	م	ض	ا	ض	ع	ر	ل	ك	ا	ن	ة
ر	ا	د	ا	ب	د	ا	ي	ا	ي	ن	ل
د	ن	ل	ا	ن	ن	ي	ن	ن	د	ي	ق
ت	ع	ك	ع	ل	ى	ف	ل	ن	ي	ي	د
ا	ل	ك	ت	ب	ل	ا	ل	م	ا	ذ	ا

كلمة السر مؤلفة من أحد عشر حرفاً: فنان سوري شاب.

(لقد أحببتك يا امرأة... لماذا لا تصدقيني؟ إذا أردت أن أضع يدي على كل الكتب المقدسة وأقسم لك إنني أحبك فلن أمانع أبداً... كما أنني مستعد لأن أكون شريكك الذي لا يرفض لك طلباً أبداً...)

SUDOKU

					1			8
	3			9		4		
		7			4	6		
	5		8		2		4	
	2		3				5	
	8			7			3	
		5	7			9		
		4		5			7	
2			9					

تتألف اللعبة من تسعة مربعات كبيرة داخل كل منها تسعة مربعات صغيرة، يجب ملء المربعات الصغيرة بالأرقام على ألا يتكرر الرقم أكثر من مرة في كل مربع كبير وفي كل خط عمودي وأفقي.

الحل السابق:

8	6	9	2	3	5	1	4	7
7	1	3	9	4	8	2	5	6
2	4	5	7	1	6	8	3	9
9	8	1	6	5	3	7	2	4
6	5	4	1	7	2	3	9	8
3	7	2	8	9	4	5	6	1
1	2	8	3	6	9	4	7	5
5	3	6	4	8	7	9	1	2
4	9	7	5	2	1	6	8	3

الطقس

	اليوم	غداً
دمشق	١٨°/٣٣°	١٨°/٣٤°
حمص	٢٠°/٣٢°	١٨°/٣٣°
حلب	٢١°/٣٥°	٢١°/٣٦°
اللاذقية	٢٢°/٢٨°	٢٢°/٢٩°
السويداء	١٥°/٣٠°	١٦°/٣١°
الحسكة	٢٢°/٤٢°	٢١°/٤٠°

من هو؟

ممثل مصري: إذا جمعت الأحرف:

٢ + ٦ + ٨: جواهر

٣ + ٤ + ٥: إطراء

١ + ٧: والدة

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨

الحل السابق: طوني حنا